

دور المرأة الجزائرية الممرضة في الثورة التحريرية

1954-1962

أ/عبد المالك بوعريوة

جامعة أدرار

مقدمة

مما لا شك فيه أن المرأة الجزائرية قد أسهمت في مقاومة العدو الفرنسي منذ الاحتلال، وذلك بشتى الطرق والوسائل، وحسب ظروف ومعطيات كل مرحلة، فكانت مقاومتها بارزة وفعالة عبر الثورات العديدة التي عرفتها الجزائر منذ الاحتلال¹، على الرغم من معاناتها من ظلم الاستعمار وقهره من جهة، ومن الجهل والتخلف والتقاليد البالية التي جعلتها دمية لا دور لها سوى الإنجاب من جهة ثانية، لذلك ليس من الغريب أن تفكر هذه المرأة في الالتحاق بصفوف الثورة التحريرية منذ الوهلة الأولى، بعد أن اقتحمت عليها هذه الأخيرة بيتها وعزلتها².

والحقيقة أن الثورة الجزائرية قد أعطت بدورها المرأة ما تستحقه من الرعاية والاهتمام،

¹ يمينة بشي، "صور وعبر... في شعر نوفمبر لجهاد المرأة الجزائرية ضد المستعمر"، مجلة المصادر، العدد الخامس، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ص 83.

² عمار قليل، ملحمة الجزائر الجديدة، ط 1، دار البعث فسنطينة، 1991، ص 369.

وفتحت أمامها الباب واسعا للالتحاق بصفوفها، إيماننا منها بالدور الفعال الذي يمكن أن تلعبه في الكفاح المسلح، ومحاولة منها لتحسينها من الحرب النفسية التي سلطها العدو الفرنسي عليها، قصد عزلها عن حقيقة الوضع الذي يعيشه وطنها، والتأثير عليها ببعض الخدمات الاجتماعية، ومن تم ضرب الثورة من الداخل وتجفيف مخزونها من الرجال.

لم تفوت المرأة الجزائرية الفرصة التي منحت لها للوقوف في وجه العدو الفرنسي، على الرغم من مشاركتها الضمنية في الكفاح المسلح بصفتها الأم والزوجة والأخت و... فالتحقت بجيش وجهة التحرير الوطني، مقتحمة المجالات المختلفة التي كانت الثورة في أمس الحاجة الدور الحيوي الذي لعبته الفتاة الجزائرية فيه، من خلال المحاور الآتية:

- مقدمة.
- لمحة عن النظام الصحي أثناء الثورة التحريرية 1954 _ 1962 .
- أسباب توجيه المرأة للعمل في سلك التمريض أثناء الثورة التحريرية 1954 _ 1962.
- المرأة الجزائرية ودورها في التمريض أثناء الثورة التحريرية 1954 _ 1962 .
- الخاتمة.

لمحة عن النظام الصحي أثناء الثورة التحريرية 1954_1962:

قبل التطرق لالتحاق الفتاة الجزائرية بالخدمة في المجال الصحي أثناء الثورة التحريرية، ينبغي أن نلقي سريعة نظرة و موجزة حول نشأة النظام الصحي في هذه الفترة الحساسة من كفاحنا ضد العدو الغاشم، حتى يتسنى لنا معرفة الظروف والأسباب التي كانت وراء توجه عدد كبير من الفتيات والنساء للانخراط والعمل في السلك الطبي فترة الثورة التحريرية.

من المعلوم أن المجموعة التي أشرفت على تحضير الكفاح المسلح، كانت تعمل في سرية تامة، وكان شغلها الشاغل في ذلك الوقت تحضير الرجال القادرين على تحمل المسؤولية، وتوفير الوسائل المادية الكفيلة بإنجاح عملية الانطلاق، لذلك كان من الطبيعي أن تصطدم القيادة الثورية بالعديد من المشاكل، التي تستدعي الحلول المستعجلة، وكان منها صعوبة إيجاد مصلحة للصحة في بداية الثورة، لاسيما في الشهور التي تلت الإعلان عن الكفاح المسلح.

وحسب شهادة الأستاذ محمد تومي طبيب الولاية التاريخية الثانية (الشمال القسنطيني) في الفترة الممتدة من عام 1957 إلى 1962، فإن مرحلة نشأة النظام الصحي للثورة تنحصر بين الأول من نوفمبر 1954 و 19 ماي 1956 تاريخ إضراب الطلبة الجامعيين والثانويين الجزائريين، حيث كانت مصلحة الصحة في هذه المرحلة متواضعة جدا في المناطق التاريخية الخمس، بحكم قلة التنسيق والإمكانيات و عدم وجود إطارات في المجال الطبي،³ فعند اندلاع الثورة "...لم يكن في صفوف جيش التحرير الوطني الشعبي طبيب واحد، ولم يكن قد التحق به سوى بعض الممرضات والممرضين، ورجال النجدة الذين كانوا قد تعلموا ذلك في الكشافة ... " 2

- لقد طرحت في هذا المجال جملة من المشاكل - بالإضافة إلى نقص الإطارات - لعل أكثرها إلحاحا ما يلي:
- مشكل العلاج المركز الذي يقدم في حالات الجروح الخطيرة (العلاج المستعجل).
 - كيفية تنظيم تنقل أو نقل الجرحى .

³ شهادة الأستاذ محمد تومي للباحث بعيادته الخاصة، الجزائر العاصمة في 2004/02/09

- مشكل جمع الأدوية وكل ما يتعلق بالتضميد و أدوات و وسائل الجراحة الخفيفة.⁴

إن الحاجة الماسة إلى الخدمات الصحية في هذه المرحلة، جعلت قيادة الثورة تتجه منذ عام 1955 إلى خلق لجان للصحة عبر التراب الوطني، تعمل على تقديم العون والمساعدة للمرضى عامة و لجرحى جيش التحرير الوطني خاصة، وقد اتجهت كل منطقة الى تنظيم نفسها في هذا المجال بالاعتماد على إمكانياتها المتواضعة، اذ كان في غالب الأحيان الممرض البسيط هو الذي يتولى تقديم الإسعافات الأولية⁵

انصب الاهتمام في المرحلة الأولى - إذن - على مشكل الجرحى الذين أصيبوا إصابات خطيرة، بحيث كان من الضروري أن يتلقوا علاجاً أولياً لإخراجهم من مرحلة الخطر، وقد شارك في التخفيف من حدة هذا المشكل بعض الأطباء الفرنسيين ذوي النزعة الإنسانية، ولكن تدخلهم أصبح هامشياً فيما بعد، وفي حالة استحالة تدخل هؤلاء يضطر الممرضون و أشباههم إلى العلاج حسب الإمكانيات المتوفرة، رغم نقص تكوينهم الذي كان كثيراً ما يعوض بإخلاصهم للوطن وتفانيهم في خدمته.⁶

والواقع أن جيش التحرير الوطني اتجه إلى تنظيم مصلحة صحته مع نهاية عام 1956، وذلك مع المد الهام الذي تشكل من التحاق بعض الطلبة من كليات

4 محمد قنطاري، تاريخ مصلحة الصحة إبان حرب التحرير 1954-1962 في الملتقى الجهوي الأول للصحة أثناء الثورة التحريرية في الولاية التاريخية الثانية، المنظمة الوطنية للمجاهدين، جيجل أيام 16، 15، 14، 1996.
⁵ Farouk Benatia, **Les actions humanitaires pendant la lutte de libération 1954-1962**, préface de saad dahllab et du mustapha makaci, éditions dahllab, Alger 1999, p 73.

⁶ محمد قنطاري، المرجع السابق، ص 45

الطب المختلفة، مع وجود أطباء جزائريين التحقوا بصفوف المجاهدين بالجبـال وفي القواعد الخلفية بالشرق والغرب⁷، بالإضافة إلى العدد المعتبر من الطلبة والثانويين، الذين شكلوا خزاناً حقيقياً للتنظيم الصحي، باعتبارهم الفئة المتعلمة التي أقبلت على التكوين في مجال الصحة، وكان من هؤلاء فتيات في مقتبل العمر. فقد عرفت المرحلة الممتدة بين 1956 و1962 تطورا ملحوظا في مجال الخدمات الصحية مقارنة بسابقتها، حيث نشطت عمليات التكوين في مجال التمريض في مختلف الولايات التاريخية، بعد أن كانت بطيئة ومقتصرة على بعض المناطق دون أخرى، كما دخل بعض الشباب الجزائري مدارس التمريض الفرنسية وحصلوا على تكوين أكمل ليلتحقوا بصفوف جيش التحرير بعد إتمام دراستهم وتدريبهم⁸، واتجهت قيادة الثورة إلى تأسيس مدارس لتكوين الممرضين ببرامج دقيقة تلبيـة لحاجيات أنواع وأصناف من الطب المحدد سلفا، وذلك على مستوى مراكز تدريب جيش التحرير الوطني أو قرب مستشفياته على غرار ما عرفته الولاية التاريخية الثانية مطلع عام 1958م وهذا التكوين كان محدودا زمنيا و كان موجها لتلقين العلاج الاستعجالي و يتم باللغتين العربية والفرنسية، مع العلم أن هؤلاء الممرضين كانوا في المستوى المطلوب على الرغم من النقائص المسجلة⁹. ومما تجدر الإشارة إليه أن عدد الأطباء الذين يحملون فعلا شهادات في الطب كان قليلا وقد لا يتجاوز العشرة على المستوى الوطني¹⁰، إلا أنهم تمكنوا من وضع الركائز الأساسية الضرورية للسير بمصلحة الصحة إلى الأمام، وتقديم ما

⁷ المرجع نفسه، ص 46

⁸ المرجع نفسه، ص 55.

⁹ شهادة الأستاذ محمد تومي، في الملتقى الجهوي الأول للصحة، ص 55، 54.

¹⁰ الهادي درواز، في مداخلة الملتقى الجهوي الأول للصحة، المرجع السابق، ص 97

يجب من الخدمات الجليلة لجيش التحرير والمدنيين من أبناء الشعب الذين كانوا يعانون من الأمراض المختلفة في الولايات الست، بينما وضع التنظيم الصحي في القاعدتين الشرقية والغربية تحت إشراف وسلطة قيادة العمليات العسكرية (C) O M، ثم تحت سلطة القيادة العامة المحلية و أخيرا تحت إشراف وسلطة القيادة العامة الموحدة¹¹ مع التأكيد بان هذا التنظيم كان متشابهاً في الولايات، مع بعض الاختلافات البسيطة الناتجة عن الظروف الخاصة، وفي هذا الشأن كتب طبيب الولاية التاريخية الثانية الأستاذ محمد تومي مايي: "...النظام الصحي متشابهاً عملياً على المستوى الوطني، باستثناء بعض التغيرات في كل الولايات ولهذا فان الصورة الموجودة لدينا عنه في ولاية شمل قسنطينة تكفي لإعطائنا فكرة شاملة عنه..."¹²

والحقيقة "وحسب بعض الشهود فان مصلحة الصحة للجيش كانت مقتبسة من التوزيع الإقليمي لجيش التحرير..."، بين الولاية والمنطقة ثم الناحية والقسم، وعلى رأس كل وحدة من هذه الوحدات مسئول، وبهذا فقد أعطي قطاع الصحة رتبة متساوية مع قطاعات النشاطات الأخرى السياسية والعسكرية و...¹³. أما فيما يخص المستشفيات والمراكز العلاجية، و ما يتعلق بطريقة الحصول على الأدوية، فان ظروف الحرب قد تحكمت فيها بدرجة كبيرة، إذ تضطر القيادة إلى تموينه أماكن تواجد هذه المستشفيات. إن صح لنا أن نطلق عليها هذه التسمية - ، والتي غالبا ما تكون في الأكواخ والمغارات، كما تلجأ إلى نقلها من مكان إلى آخر كلما دعت الضرورة إلى ذلك، بينما كان الحصول على الأدوية في البداية أسهل بكثير عما

¹¹ محمد قنطاري، المرجع السابق، ص 47

¹² شهادة الأستاذ محمد تومي، في الملتقى الجهوي الأول للصحة، المصدر السابق ص 47.

¹³ محمد قنطاري، المرجع السابق، ص 47.

أصبح عليه الوضع في المرحلتين الأخيرتين للثورة التحريرية (1958-1960) و (1960-1962).

وعلى العموم فإن ما يمكن استنتاجه حول النظام الصحي الذي أقامته الثورة، أنه وعلى الرغم من حالة الحرب المستمرة، وقلة الإمكانيات المتوفرة على المستويين المادي والبشري فإن القيادة الثورية استطاعت أن تنشأ مصلحة للصحة في المناطق والولايات التاريخية، هذه الأخيرة التي قدمت خدمات جلييلة لجيش التحرير الوطني والمدنيين من أفراد الشعب .

ظروف وأسباب التحاق المرأة الجزائرية بالنظام الصحي للثورة التحريرية :

اتخذت مشاركة المرأة الجزائرية في الثورة التحريرية شكلين مختلفين هما :

- **المشاركة الضمنية :** وهي تلك المشاركة غير المباشرة التي تتمثل في موقفها الإيجابي الذي وقفته كمسئولة عن مقومات الأسرة وعاداتها وتقاليدها الروحية والحضارية¹⁴، بالإضافة إلى تقديمها للزوج والابن والأخ و... ليكونوا في خدمة الثورة، كمناضلين في جبهة التحرير الوطني أو مجندين في صفوف جيش التحرير الوطني بمختلف الصفات والرتب، ولا يخفى على أحد أن هذا النوع من المشاركة، جعل المرأة قاعدة خلفية للكفاح المسلح، و أذاقها مرارة الفاجعة في الزوج والأخ والولد .

. **المشاركة المباشرة (الفعلية) :** وهي عبارة عن مشاركة ظاهرة ومباشرة، بانخراط الفتاة أو المرأة في صفوف جبهة و جيش التحرير الوطنيين، وقد اتحد هذا النوع من¹⁵ المشاركة عدة أشكال وأنماط ، فكانت المناضلة في اللجان السياسية والإدارية

¹⁴ بسام العسلي، المجاهدة الجزائرية، ط 2، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1990 ص 28

¹⁵ المرجع نفسه، ص 28

والفدائية وجامعة الأموال والمجندة في صفوف جيش التحرير الوطني والمرشدة الاجتماعية و... وقد أكدت المصادر والمراجع بأن المرأة كانت بمشاركتها المباشرة سندا قويا للرجل في الأرياف والمدن، وفي مختلف المجالات التي اقتحمتها، إلا أن دورها كان بارزا ومميزا وفعالا في المجال الصحي، وهو ما نريد أن نسلط عليه الضوء في مداخلتنا هذه .

مع مطلع عام 1955م كانت عمليات التمريض تتم تلقائيا في مختلف المناطق و بوسائل بسيطة وتقليدية، ولكن مع اتساع رقعة الثورة وتزايد العمليات العسكرية، خصوصا بعد 20 أوت 1955م أصبح من الضروري التفكير في إنشاء المراكز الصحية، وتدعيم السلك الطبي بالممرضين والممرضات و الأطباء والطبيبات فأقبلت الفتاة الجزائرية على هذا الميدان الحساس، كما وجهتها القيادة الثورية هذه الوجهة لجملة من الأسباب أهمها :

أولا: طبيعة المرأة الملائمة للتمريض: وقد كتبت المجاهدة الممرضة أنيسة بركات درار في هذا الشأن ما يلي: "...تقوم مجاهدات جيش التحرير بعلاج المرضى و الجرحى وهذا أبرز الأدوار التي أهلتها لهن صفاتهن وقدرتهن لأن الله وهب المرأة خصائص معينة تميزها عن الرجل، منها الرأفة والرفقة والعطف والحنان لعلاج المرضى، وهي إحدى الأسباب التي تبين ملائمة المرأة للتمريض..."¹⁶

¹⁶ أنيسة بركات درار، نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر

1985، ص. 35

2 عمار قليل، المرجع السابق .

3Daniel Djamila Amrane, *La guerre D algerie (1954-1962), femmes au combat*, préface André Mandouze, Editions Rahma, Alger, 1993 p 249

ثانيا: التحاق عدد معتبر من الفتيات المتعلّقات بالثورة التحريرية بعد اضراب 19 ماي 1956 : مما وفر لقيادة جبهة وجيش التحرير الوطنيين الفرصة للتفكير في توجيه هؤلاء للتكوين في مجال التمريض، بحكم قدرتهم العلمية والمعرفية مقارنة بالملتحات الأخريات، و في هذا الشأن كتب المجاهد عمار قليل رحمه الله ما يلي " ... والواضح أن كثافة الالتحاق بصفوف الثورة بالنسبة للمناضلات، جاء بعد إضراب الطلبة الشهير في 19 ماي 1956، هذا الالتحاق عزز صفوف الثورة بنسبة عالية، من المناضلات المتعلّقات اللواتي تحملن أعباء كثيرة في الثورة... "2 ثالثا: ما يفرضه تواجد الفتيات وسط جيش التحرير من تحفظ : فحسب المجاهدة الممرضة مريم بالمهوب فان تواجد فتيات في مقتبل العمر وعلى قدر من الجمال وسط جيش التحرير الوطني، يمكن أن يتسبب في حدوث مشاكل، مما جعل قيادة الثورة تصدر قرارا سياسيا بتسجيل الفتيات بصورة آلية كممرضات أو متربصات في مجال التمريض، لسد النقص المسجل في هذا المجال³، لاسيما وأن الاستعمار لجأ الى " وسيلة الدنيئة لتشويه سمعة المرأة المجاهدة أخلاقيا قبل تشويهها جسديا، وذلك بأن أشاع أبشع الأوصاف عن المجاهدات، وفسرت الدعاية الاستعمارية تواجد النساء بين المجاهدين تفسيرات دنيئة منحطة، كما أطلقت الافتراءات الفاحشة... "4

4 إبراهيم لونيسي، "نساء جزائريات تحت التعذيب" الجميلات الثلاث نموذجاً "حولية المؤرخ، عدد 2 اتحاد المؤرخين الجزائريين، الجزائر 2002، ص 402.

5 عبد الكريم بوصفصاف، جهاد المرأة الجزائرية في ولاية ميلة 1954-1962، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2009، ص 100.

رابعاً: الدواعي التنظيمية: "... يبدو أن الدواعي التنظيمية قد دفعت لاحقاً بقيادة جيش التحرير إلى إحداث إطار خاص يضبط مشاركتهن في الثورة، ذلك ما نلمسه في مبادرة الولاية التاريخية الثانية بإنشاء نظام خاص بالنساء المجاهدات (Les Femmes combattantes) "... 5" اللائي يقمن بالدور الطبي كمرضات ويقدمن العلاج للمجاهدين بمستشفيات جيش التحرير الوطني، وكذا للسكان المدنيين خارج هذه المستشفيات، بالإضافة إلى الدور الاجتماعي السياسي المتعلق بالتوعية والإرشاد والخدمات الاجتماعية الأخرى كالغسل وطهي الطعام وغيرها من الخدمات

خامساً: قدرة المرأة على إنجاز أعمال التمريض في ظروف الحصار والضغط: في العديد من المرات كان العدو يقوم بالقنبلة بالطائرات للقوى والمد اشتر، مع فرض الحصار المحكم على هذه المناطق مما يجعل تدخل الرجال أمراً في غاية الصعوبة، وحينها نجد المرأة تقوم بدورها في إسعاف الجرحى والمدنيين، بحكم قدرتها على التمويه والتوغل وسط السكان وتقديم الإرشادات والنصائح للنساء وحثهن على النظافة والوقاية من الأمراض المختلفة، مما يجعل الممرضة في كثير من الأحيان تضطلع بأدوار مركبة - كما سيأتي توضيحه ..

سادساً: اتجاه العدو لاستغلال المرأة الجزائرية في المجال الطبي والاجتماعي: أن اتجاه العدو الفرنسي لاستغلال المرأة في المجال الطبي من خلال الفرق الطبية الاجتماعية، التي كانت تستغل المرأة بتقديم المساعدات للسكان في هذا المجال¹⁷ جعل جبهة التحرير الوطني في اعتقادنا تقبل على توجيه الفتيات في نفس الاتجاه

¹⁷ المرجع نفسه، ص 94.

2Daniel Djamila Amrane, op, cit p 246, 247

3 Ibid, p249

لسحب ورقة هذه الخدمات من يد الاستعمار الذي راهن على العنصر النسوي للتأثير على التجنيد في صفوف جيش التحرير.

وما يمكن استنتاجه من خلال استعراضنا للأسباب التي كانت وراء إقبال المرأة على خدمة الثورة في المجال الصحي، أن هذه الأخيرة كانت تذرك الإمكانيات التي تتمتع بها في هذا المجال، بالإضافة إلى محاولة جبهة التحرير الوطني إيجاد الإطار الأفضل للفتيات لخدمة الكفاح المسلح.

المرأة الجزائرية ودورها في التمريض أثناء الثورة التحريرية 1954-1962 م :

قبل التطرق إلى انخراط المرأة الجزائرية في سلك التمريض أثناء الثورة التحريرية، يجدر بنا أن نشير بأن المرأة سجلت حضورها منذ الوهلة الأولى لاندلاع الكفاح المسلح، بحيث وصل عدد المشاركات 49 امرأة من أصل 1010 مجاهد، وهو ما يمثل 05% من المجموع العام المشارك في عملية الانطلاق 2، كما كانت المرأة حاضرة في اجتماع مكتب طلبة مدينة الجزائر للاتحاد العام للطلبة المسلمين الجزائريين يوم 25 ماي 1956 بعد أن دخل الإضراب يومه السابع، وهذا بمشاركة كل من: حفصة بسكر و زليخة بقدرور باعتبارهما أعضاء مكتب، وذلك من أصل السبعة أعضاء الحاضرين في الاجتماع 3، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على إصرار المرأة الجزائرية على اقتحام ميدان الكفاح المسلح إلى جانب أخيها الرجل .

إن ازدياد الحاجة إلى الخدمات الصحية في صفوف جيش التحرير الوطني، جراء الإصابات العديدة والخطيرة، جعل الثورة تتصل ببعض الممرضات لعلاج المصابين في الجبال و تقديم الإسعافات الضرورية لهم، حيث كتبت إحدى الممرضات شهادتها في هذا الشأن تقول : "... في جانفي 1956 تم الاتصال بي للالتحاق بصفوف المجاهدين، وكنت حينها ممرضة لدى أحد الأطباء الخواص في حي شعبي، فرفضت الأمر في البداية، بحكم أن أختي لم يكن قد مضى على

وفاتها وقت طويل، تاركة لي أربعة أطفال منهم صبي في عمر الثلاثة أشهر، فأعطيت الإخوة بعض الأدوية ومستلزمات الحقن، دون أن أقدم لهم المال لعدم توفره عندي. في نوفمبر 1956 جاءني أحد الإخوة يطلب مني الصعود إلى الجبل لتقديم العلاج لأحد المجاهدين المصابين، فلم أجد سوى الاستجابة لهذا الطلب المستعجل، وكان علي أن أبقى في الجبل مداواة المصابين، لأن العودة إلى عملي قد تؤدي إلى إلقاء القبض علي، بحكم أن الشرطة الفرنسية تكون قد لاحظت غيابي عن العمل في العيادة الخاصة لعدة أيام..."، بل ان الممرضة جميلة عمران أكدت بأن الثورة أصبحت في أوائل عام 1956 على اتصال بالممرضات المتربصات (الجزائريات)، الموجودات على مستوى مدرسة الصليب الأحمر بالجزائر العاصمة، مما أدى الى التحاق العديد منهن، فكان ذلك سببا كافيا لغلق هذه المدرسة نهائيا حتى لا تكون ممونة لجيش التحرير الوطني بالممرضات¹⁸، وقد أكدت لي الممرضة باية من الولاية التاريخية الرابعة بأنها ظلت تقدم المساعدات اللازمة للمجاهدين، من الأدوية وأدوات التمريض المختلفة إلى غاية اكتشاف أمرها والتحاقها بالجبل في عام 1956، أين وجدت نفسها في البداية الممرضة الوحيدة بالمنطقة الأولى من الولاية الرابعة¹⁹

في نفس السياق كشفت المجاهدة الممرضة ليلى موساوي بأنها كانت في تونس عام 1955 في الفرع الذي خصصه الرئيس الأسبق الحبيب بورقيبة بمستشفى الحبيب ثامر، حيث عملت خلالها كممرضة اكتسب الخبرة الكافية، لتلتحق بعدها إلى أرض الوطن في عام 1956 للعمل في سلك التمريض بالناحية الثانية من المنطقة

¹⁸ Ibid,p249

¹⁹ شهادت الممرضة باية للباحث بنزل السلام بسكيكدة في 10.26. 2010 .

الثانية (الشمال القسنطيني)، في مستشفى لجيش التحرير الوطني يقع بأعالي جبال بني عافر بمنطقة جيجل، وحسب نفس الشاهدة فإنها ظلت تعمل بهذا المستشفى تعالج الجرحى والمصابين إلى أن تزايد عدد الفتيات الملتحقات بصفوف جبهة التحرير الوطني، فوجدت نفسها مجبرة على تلقيهن طرق التمريض، لتنتقل بعدها إلى مهمة أخرى رأى القائمون على الناحية بأنها أقدر على القيام بها²⁰ ان ما يستنتج من خلال شهادات الممرضات الثلاث أن قيادة الثورة كانت مدركة لقيمة وأهمية خدمات التمريض التي يمكن أن تقدمها المرأة الممرضة، ومن تم بادرت بالاتصال بها وحثها على الالتحاق بصفوف المجاهدين، كما أنها لم تنتظر فتح مدارس التكوين الخاصة بها وإنما لجأت في بداية الأمر الى الاستفادة من الممرضات اللواتي زاولن التكوين في المدارس الفرنسية أو في القواعد الخلفية، في كل من تونس والمغرب .

جاء إضراب الطلبة في 19 ماي 1956 فكان فرصة أمام العديد من الفتيات المتعلّمات للالتحاق بسلك التمريض والعمل به، بعد الحصول على التكوين اللازم في هذا المجال، حيث أكدت أنيسة بركات في هذا السياق أنها التحقت رفقة زميلتين لها من تلمسان كانتا تدرسان معها في الثانوية الثعالبية بالجزائر العاصمة، وقد قررن مقاطعة الدراسة، والالتحاق بالمجاهدين وتضيف قائلة: "...وبعد موافقة القيادة الثورية لطلبنا، انتظمنا (كذا) في جيش التحرير، وعندئذ أمرتنا القيادة بالذهاب إلى القاعدة الخلفية رقم 15 في الحدود المغربية للتكوين والتدريب في المجال الطبي والسياسي والعسكري، غير أننا لم يساعدنا الحظ للذهاب معا...أما أنا فاتجهت في ذلك الحين إلى الحدود المغربية في شهر جوان 1956

²⁰ شهادة المجاهدة الممرضة ليلي موساوي في يومية الحوار، الجزائر في 06 جويلية 2009

ودخلت وجدة، حيث كان ينتظرني بعض المسؤولين من الجبهة والجيش ليهتموا بتكويني، فأدخلوني إلى مستشفى لوسطو لأتعلّم التمريض ومعالجة الجرحى...²¹، مما يعني أن إضراب الطلبة التاريخي قد وفرة للثورة الخزان اللازم للتكوين في التمريض، لاسيما من الفتيات اللواتي سجلن حضورهن بقوة في الثورة بهذه المناسبة.

من جهة أخرى أكد الأستاذ محمد تومي بأنه عندما كان بالقاعدة الشرقية، أي قبل التحاقه بالولاية التاريخية الثانية كطبيب، رأى العديد من الفتيات ضمن الوحدات القتالية، وعند التحاقه بالولاية نفسها وجد مع جيش التحرير "...أكثر من 300 أو 400 بنت وكان منهن المرشدات اللواتي كن يمارسن الطب بين أوساط المواطنين، وفي نفس الوقت يمارسن التوعية السياسية."²²، ومن هؤلاء: مسيكة زيزة التي التحقت بالثورة في نهاية عام 1956، وكانت نموذجا للحيوية و النشاط والاستماتة بحيث كانت مسئولة عن مركز صحي في منطقة محرمة بأعالي القل، وقد ضربت المثل الأعلى في التضحية والفداء بشهادة العقيد علي كافي قائد الولاية التاريخية الثانية في الفترة الممتدة بين أبريل 1957 وسبتمبر 1961، لقد رأت هذه الممرضة الدخان يتصاعد من المستشفى الذي تعمل به، في الوقت الذي كانت فيه طائرات العدو تحلق فوق المنطقة في إطار دوراتها التفتيشية، فأسرعت لإجلاء المرضى والجرحى، والعتاد والتموين رفقة مساعديها، وإذا كانت مسيكة قد نجحت في مهمتها الأساسية المتعلقة بإجلاء الجرحى والمرضى، فإنها دفعت مقابل ذلك حياتها نتيجة لمحاولتها الرجوع لأخذ محفظتها التي نسيتهما والتي كانت تحتوي على

²¹ أنيسة، بركات المصدر السابق، ص 42.

²² شهادة الأستاذ محمد تومي، في الملتقى الجهوي الأول للصحة، المصدر السابق، ص 120.

وثائق هامة²³، بالإضافة إلى أخريات مثل رقية غيموز الممرضة والمرشدة بالقل ثم بنواحي قسنطينة، ومريم بوعتورة الممرضة والفدائية بقسنطينة، ومليكة خرشي الممرضة بنواحي تاكسنة من الولاية الثانية إلى غير ذلك من المرشدات الاجتماعيات اللواتي عملن في سلك التمريض أيضا، بينما ضربت الممرضة بالولاية الثالثة أروع الأمثلة، حتى أن العقيد عميروش أشاد بشجاعة و بطولة ممرضة تدعى مليكة كانت تقوم على مركز للتمريض بأحد الكهوف رفقة زميلة لها، ولما اقتحم عليهما جنود العدو المكان وأطلق عليهما النار، ردت بشجاعة كبيرة ولم تستشهد إلا بعد نفاذ ذخيرتها²⁴

وفي الولاية الرابعة كتبت مجاهدة أخرى كانت قد دخلت سجن العدو في أواخر عام 1956 بأنها حينما التحقت بجيش التحرير الوطني بالمنطقة الثانية من الولاية لرابعة وجدت بمجموع الولاية 14 فتاة يتراوح سنهن بين 16 سنة و 20 سنة منهن 10 ممرضات يحملن الشهادات التي تؤهلن للاضطلاع بمهمة التمريض،²⁵ وقد عرفت هذه الولاية عددا معتبرا من الفتيات المجاهدات اللواتي قدمن أرواحهن فداء للوطن م منهن الشهيذة مسعودة باج التي غادرت مقاعد الدراسة لتلتحق بسلك التمريض بحكم تكوينها حيث عينت بالفرع الصحي الذي أنشئ لأول مرة بالأطلس البلدي تحت إشراف المجاهد والطبيب حسن يوسف الخطيب، وقد لعبت هذه الممرضة دورا كبيرا في التمريض والإرشاد والتوجيه وذلك في العديد من مناطق الولاية التاريخية الرابعة، وحينما قررت الولاية إرسال بعض المجاهدين

²³ علي كافي، مذكرات علي كافي، من المناضل السياسي الى القائد العسكري (1946 - 1962)، دار

القصبة للنشر و التوزيع، الجزائر 1999، ص 158.

²⁴ عمار قليل، المرجع السابق، ص 378، 380.

²⁵ أنيسة بركات، المصدر السابق، ص 48.

والمجاهدات للتكوين في القاعدة الخلفية للجهة الغربية كانت مسعودة باج منهم إلا أنها استشهدت وهي في طريقها إلى المملكة المغربية وذلك في عام 1960²⁶ وعرفت الولاية الخامسة أيضا عددا معتبرا من الممرضات البارزات اللواتي قدمن خدمات جليلة للصحة أثناء الثورة التحريرية، ومن هن السيدة أنيسة بركات المولودة درار، التي كتب الله لها أن تنعم بشمس الحرية، وزميلات لها مثل جميلة مهدي التي أكدت بأنها تلقت مبادئ التمريض معها في نفس المستشفى بوحدة، وعالجت معها المجاهدين الجرحى قبل دخولهما إلى الجزائر لمواصلة المسيرة في نفس المجال²⁷.

و في الولاية السادسة وعلى الرغم من كونها عرفت أوضاعا صعبة بعد تكوينها ورغم وضعها الطبيعي الصعب، وامتدادها على مساحات واسعة ومكشوفة فإن المرأة لم تتأخر عن ركب الثورة بها، ولم تفوت الفرصة للمشاركة في عمليات التمريض في مناطق عديدة وحتى في أعماق الصحراء، وهو ما وقفنا عليه من خلال جملة من الشهادات التي سجلها طلبتنا في إطار مذكرات تخرجهم، وهي شهادات جديرة بالدراسة والتحليل²⁸.

إن ما هو ملفت للانتباه أن المرأة الممرضة لعبت دورا مركبا في الثورة الجزائرية، بحيث نجدها تقوم بدورها كممرضة ملتزمة و وفيه لوظيفتها، لكننا

²⁶ بطاقة لـ " الشهيذة مسعودة تاج 1933 - 1960 " في مجلة الرؤية، العدد 3، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 1997، ص 221، 222،

²⁷ أنيسة بركات، المصدر السابق، ص 42.

²⁸ ينظر هذه الشهادات في، دحمان خديجة، نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية 1954-1962 (نصال المرأة في اقليم توات الوسطى و قورارة 1956 - 1962)، مذكرة لنيل شهادة الليسانس في التاريخ، اشراف خلوفي بغداد، قسم التاريخ، جامعة أدرار 2007/2008.

نجدها تؤدي أدواراً أخرى لا تقل أهمية عن التمريض، فتكون مرشدة اجتماعية تسدي النصائح للنساء في الأرياف و المدن على حد سواء، وتؤكد لهم بأنه من الضروري الاهتمام بنظافة الجسم والمحيط، فيكون ذلك وقاية من الأمراض، وتكون مناضلة وسياسية تنشر الوعي الوطني بين أفراد المجتمع إلى غير ذلك من الأدوار المتعددة .

الخاتمة:

وصفوة القول أن المرأة الجزائرية لم تتأخر في المشاركة الفعالة في الثورة التحريرية، على الرغم من الوضع الخاص الذي كانت تعرفه مقارنة بالبلاد العربية الأخرى، فقد خدمت الثورة بكل إخلاص في مختلف المجالات إلا أنها سجلت حضورها القوي في مجال التمريض لاسيما بعد التحاق الفتيات المتعلقات اللواتي وجهتهن الثورة للتكوين في السلك الطبي

وعلى العموم فإن النتائج التي يمكن أن نسجلها من خلال هذه المداخلة ما

يلي :

1. أن العديد من الممرضات قدمن خدمات جليلة للثورة في فترة مبكرة، وهذا حتى قبل الالتحاق بالجبال.
2. أن إضراب الطلبة والثانويين الجزائريين في 19 ماي 1956 كان مناسبة لالتحاق عدد كبير من الفتيات المتعلقات بالثورة، مما جعل قيادة الثورة توجه العديد من الطالبات نحو التمريض بغية توفير العلاج الضروري للمجاهدين .
3. كان توجه المرأة للعمل في التمريض لأسباب عديدة ومتنوعة إلا أن طبيعتها وحنانها جعلها تقبل بكل حب على هذا المجال، وجعل قادة الثورة يضعون فيها الثقة الكاملة لعلاج المصابين من جيش التحرير الوطني ومن المدنيين.
4. لم يكن عمل الممرضة يقتصر على التمريض والصحة، وإنما تعدى ذلك إلى مجالات أخرى، لتكون بذلك مرشدة اجتماعية تقدم النصائح والإرشادات للأسر لتحافظ على مقومات المجتمع، بل لتساهم في الوقاية من الأمراض، وذلك من صميم العمل في المجال الطبي بحكم أن "الوقاية

خير من العلاج"، كما تكون في بعض الأحيان سياسية، فتعمل على رفع الوعي بين النساء

5. أدت المرأة بفعل نشاطها وحيويتها دورا فعالا في مجال التمريض بمستشفيات جيش التحرير الوطني بالداخل، وعلى مستوى القاعدتين الخلفيتين بكل من تونس والمغرب.

المصادر والمراجع المعتمدة

أولا المصادر والمراجع بالعربية

أولا المصادر

- 1 باية، شهادة المجاهدة الممرضة باية، بنزل السلام بسكيكدة في 26/10/2010
- 2 محمد تومي، شهادة الأستاذ محمد تومي، طبيب الولاية التاريخية الثانية في الفترة الممتدة بين 1962، 1957، بعيادته الخاصة، الجزائر العاصمة في 09/02/2004
- 3 محمد تومي، شهادة في الملتقى الجهوي الأول للصحة أثناء الثورة التحريرية في الولاية التاريخية الثانية، المنظمة الوطنية للمجاهدين، جيجل أيام 14، 15، 16 نوفمبر 1996
- 4 ليلى موساوي، شهادة المجاهدة الممرضة ليلى موساوي، في يومية الحوار، الجزائر 06/07/2009.

2/الكتب

- 1 أنيسة بركات درار، نضال المرأة الجزائرية خلال الثورة التحريرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985.
- 2 علي كافي، مذكرات علي كافي، من المناضل السياسي الى القائد العسكري (1946-1962)، دار القصبة النشر والتوزيع، الجزائر. 1999
- 3 عمار قليل، ملحمة الجزائر الجديدة ط 1، مطبعة البعث، قسنطينة، 1991.

ثانيا المراجع

أ الكتب

- 1 بسام العسلي، المجاهدة الجزائرية، ط2، دار النفائس، بيروت. 1990
- 2 عبد الكريم بو صفصاف، جهاد المرأة الجزائرية في ولاية ميله 1954-1962 دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة 2009.

ب المقالات

1 إبراهيم لونيبي، نساء جزائريات تحت التعذيب، الجميلات الثلاث نموذجاً، حولية المؤرخ، عدد 2، اتحاد المؤرخين الجزائريين، الجزائر 2002.
بطاقة خاصة بالشهيدة مسعودة تاج (1933-1960)، مجلة الرؤية، عدد 3، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر 1997.

المصادر باللغة الفرنسية

1 Daniel Djamila Amrane Mine, La Guerre D Algerie (1954-1962), Femmes Au Combat, Préface Andre mandouze, editions Rahma, Alger 1993.

المراجع

1 Farouk Benatia, Les Actions humanitaires Pendant La Guerre de Libération, Préface de saad dahleb et mustapha makaci, Editions Dahlab, Alger, 1999.